



مُفَسِّم

مذ مئات السنين



تذ رئات السنين

علاقات مثلية في التاريخ العربي

حقوق هذا العمل محفوظة لمبادرة م مسلم ومنظمة بداية بموجب
رخصة المشاع الإبداعي نسب المُنصّف 4.0 دولي

م مُسلم



طالما كنا هنا

يدعى الكثيرون أن المثلية الجنسية فكرة حديثة أو مفهوماً غربياً تم استقدامه إلى المجتمعات العربية. لكن التاريخ يخبرنا بعكس ذلك تماماً؛ فلطالما كان للمثليين والمثليات حضور في كل العصور الإسلامية، وحتى قبل الإسلام. وهنا نستعرض قصص حب بين أشخاص من نفس الجنس، وقعت منذ مئات السنين، لنؤكد أنه لا مجال لمحو وجود العلاقات المثلية من التاريخ العربي.

قتيل العشق

الإمام أبو بكر محمد بن داوود الظاهري، أو كما قال عنه ابن القيم في (الداء والدواء): «العالم المشهور في فنون العلم من الحديث والتفسير والأدب، وله قوله في الفقه، وهو من أكابر العلماء، وعشقه مشهور...»

عاش أبو بكر الظاهري في العصر العباسي، وكان من أجمل الناس في عصره، وكان مع ذلك كريم الخُلُق، بليغ اللسان. عشق في صغره، وشب رجلاً عاشقاً لِيَن القلب، لطيف الطباع، يقدر العشق ويرفق بالعاشقين.

وله في ذلك موقف شهير، حيث اعتاد أن يدخل جامع بغداد من باب اسمه (باب الوراقين) ثم هجر الدخول منه فترة حتى لاحظ أحد تلاميذه، فلما سألته عن ذلك قال: «كنت داخلاً يوماً، ورأيت متحايين يتحادثان فترقا إذ رأياني، فأليت ألا أسير في مكان فرقت فيه بين محبين.»

وكان في مجلسه وحوله طلابه، فدخل عليه ابن الرومي، ودفع إليه رقعة ظنها من حوله مسألة فقهية، فأخذها وقرأها ثم كتب الرد في ظهرها.



وكان ما كتبه ابن الرومي هو:

يا ابن داوود يا فقيه العراق
هل عليهن في الجروح قصاص
أفتنا في قوائل الأحداق
أم مباح لها دم العشاق

فرد ابن داوود عليه قائلًا:

كيف يفتيكم قتيل صريع
وقتيل التلاقي أحسن حالا
بسهم الفراق والاشتياق
عند داوود من قتيل الفراق

وكان الظاهري قد عشق (محمد بن جامع الصيدلاني) وهو فتى شديد الجمال يبيع العطور في سوق بغداد. وأحبه ابن جامع وقدّره، وكان يزوره دومًا ويجالسه.

وعرف الناس ما بينهما فلم ينكره أو يخفيه. بل كان الظاهري يكتب الشعر في محبوبه علانية حتى لُقّب بإمام العاشقين. ومما كتبه في عشقه العذري:

وأحمل من ثقل الهوى ما لو أنه
ويظهر سري عن مترجم خاطري
على جامد الصخر الأصم تهدهما
فلولا اختلاس الطرف عنه تكلمها

كان عشق الظاهري عشقًا صعبًا وثقيلًا، يتلوى فيه بين ما يريده وما يخاف أن يحصل. بين مشاعره العذرية ورغباته التي لا يستطيع أن يلجمها. حتى أنك وسقط مريضًا.

ومن قوله:

يا يوسف الحسن تشبيهاً وتمثيلاً
من شك في الحور فلينظر إليك فما
يا طلعة ليس إلا البدر يحكيها
صيغت معانيك إلا من معانيها

...

أشكو عليل فؤاد أنت متلفه
سقمي تزيد مع الأيام كثرته
شكوى عليل إلى ألف يعلله
وأنت في عظم ما ألقى تقلله
وأنت يا قاتلي ظلها تحلله

...

حملت جبال الحب فيك وإنني
وما الحب من حسن ولا من سماحة
لأعجز عن حمل القميص وأضعف
ولكنه شيء به النفس تكلف

ويروي نفطويه عن مرض الظاهري يقول: دخلت على محمد بن داود في مرضه، فقلت: كيف تجدك؟

قال: حب من تعلم أورثني ما ترى. (يقصد محمد بن جامع)

فقلت: ما منعك من الاستمتاع به، مع القدرة عليه؟ قال: الاستمتاع على وجهين، أحدهما «النظر»، وهو أورثني ما ترى، والثاني «اللذة المحظورة»، ومنعني منها ما حدثني به أبي، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا علي بن مسهر، عن أبي يحيى، عن مجاهد، عن ابن عباس، رفعه، قال: من عشق وعف وكنتم وصبر، غفر الله له، وأدخله الجنة. ثم أنشد لنفسه قائلاً:

انظر إلى السحر يجري في لواحظه
وانظر إلى شعرات فوق عارضه
وانظر إلى دج في طرفه الساجي
كأنهن نمال دب في عاج

ويقول نفطويه أنه قد مات في نفس اليوم أو الذي يليه.
فكان محمد بن داود بذلك، العاشق الذي قتله عشقه.

القصة الثانية

على العهد

كانت هند بنت النعمان أميرة جميلة، وشاعرة مُفوهة، وامرأة حكيمة. نشأت بالحيرة في العراق، وهي ابنة النعمان بن المنذر، الذي عاش قبل الإسلام، وهو أشهر ملوك اللخمين. أما عن هند فقد عاشت في الجاهلية وأدركت الإسلام وهي عجوز. لكنها بقيت على المسيحية.

وكانت هند بنت النعمان هي أقدم مثلية وصلت إليها المرويات الشعبية عن تاريخ العرب. حيث عشقت «هند بنت الخس الإيادية» وكانت الأخيرة امرأة قوية لقبت من حكمتها ودهائها بحكيمة العرب.

وقد قال عنها الجاحظ: «من أهل الدهاء والنكراء، واللسن واللقن، والجواب العجيب، والكلام الصحيح، والأمثال السائرة، والمخارج العجيبة»



يروى بعض المؤرخين أن هند الإيادية أو «الزرقاء»، كما كانت تلقب نسبة إلى لون عينيها، قد وفدت إلى

النعمان بن المنذر فوضعها عند ابنته هند. فتقربتا وعشقتا بعضهما، وبقيتا معاً حتى ماتت الزرقاء.

حزنت هند بنت النعمان حزناً شديداً عليها، حتى أنها ترهبت وخلعت زينتها، وبنت ديراً أَسَمته دير الزرقاء، وأمضت بقية حياتها فيه حتى ماتت.

وكان حبها وإخلاصها لهند الإيادية مضرب المثل في الوفاء، حتى أن الفرزدق قال بيت شعر يخاطب به جرير بن عطية:

وفيت بعهد كان منك تكراً كما لابنة الحسن اليماني وفّت هند

القصة الثالثة

أين أمير المؤمنين؟

الظافر بأمر الله إسماعيل، هو الخليفة أبو منصور إسماعيل بن عبد المجيد الحافظ لدين الله، أحد الخلفاء الفاطميين. تولى الخلافة خمس سنوات بعد أبيه، وكان شاباً في السابعة عشر من عمره.

قال عنه الذهبي في سيره: «...كان شاباً جميلاً وسيماً لعباً عاكفاً على الاغاني والسراري.» كما يصفه المؤرخ ابن إياس في كتابه (بدائع الزهور) : «كان شاباً جميل الصورة، حسن الهيئة، وكان يميل إلى اللهو والطرب»

وكان لوزيره عباس بن أبي الفتوح ولداً يدعى نصر، وكان نصر شاباً جميلاً أوقع العادل، وهو الوزير الذي سبق أبوه، في حبه، ثم استدرجه إلى فراشه وقتله حتى يخلوا مقعد الوزارة لأبيه.

ويحكي الذهبي: «وكان نصر من الملاح، فمال إليه الظافر وأحبه.» واعتاد الظافر على زيارة نصر في بيته متخفياً، والمبيت عنده. وكان يهديه آلاف الدنانير والصحاف المليئة باللؤلؤ حتى يسترضيه.



لكن ذلك كله لم يكن كافياً لنصر الذي وضع عينيه على مقعد الخلافة.
وكما فعلا مع العادل، اتفق عباس وابنه على قتل الظافر طمعاً في مكانه.

و ذات ليلة دعا نصر الظافر إلى داره، وأتاه الظافر كعادته، متخفياً وبالقليل
من الجند. وأخذ نصر يعطيه الشراب حتى ثمل ونام، فقام عليه وقتله غدراً.
ثم قتلوا جنده وألقوه معهم في بئر خارج الدار.

وذهب الوزير في الصباح إلى دار الخلافة، ودخل القصر، فقال لإخوته: أين
أمير المؤمنين؟ وكانت علاقة الظافر بنصر معروفة، فقالوا له: ابنك نصر
يعرف أين هو.

فلم يكتفِ عباس بقتل الظافر، بل ألقى الأمر على إخوته وافتعل مذبحة في
قصره بدعوى الانتقام للخليفة، ثم استولى هو وابنه على الخلافة من بعده.

دونها تقوم الحرب

كانت رغوم ونجدة امرأتين عربيتين عاشتا قبل الإسلام. وكانتا مثليتين، تقربتا وعشقتا بعضهما لدرجة أن أمرهما قد شاع بين العرب.

وكان لرغوم أخ، لما وصل لمسامعِه ما يُحكى عن أخته، أخذ يراقبها حتى أمسك بهما معاً ذات يوم، فقام بقتل نجدة وذهب بأخته.

حزنت رغوم على عشيقتهما حزناً شديداً، وأضمرت العداوة لأخيها، ف راحت تحرض قبيلة نجدة لقتله حتى قامت حرب بين القبيلتين.



القصة الخامسة

أن أنظر إليك

فيما ورد في كُتب التأريخ أنه كان هناك رجل صوفي معروف ببغداد أحب غلاماً جندياً، وتغلغل حبه في شرايينه حتى أصبح يتعقب الجندي في كل مكان ويترصده في كل موكب حتى ينظره من بعيد، وبسبب ذلك اشتهر أمره وأصبح معروفاً عند غالب الغلمان.

وذات ليلة، وبينما كان الصوفي يصلي فوق سطح منزله، سمع صوت الجندي يمر، فسقط عن السطح. راح الغلمان يضحكون لما رأوه. سألهم الجندي عن سبب ضحكهم، فتقدم أحدهم وهمس له بأمر الصوفي، وأنه يهواه منذ زمن طويل. فقال الجندي: «بئس المرء الذي لا يعرف من أحبه.» ثم أخذ شمعة ونزل للصوفي حتى يراه. نقطت الشمعة على وجه الصوفي، ففتح عينيه ليرى معشوقه أمامه فأنشد قائلاً:

يا مُحرقاً بالشمع وجه محبه ... رفقا فإن مدامعي تطفئه.
أحرق بها جسدي وكل جوارحي ... وأشفق على قلبي فإنك فيه

ثم حمله الجندي إلى بيته.
وبقي إلى جانبه ولم يفارقه بعد ذلك.



قلب الأستاذ في يدك

كان مدرك بن علي الشيباني فقيهاً وأديباً، وخطاطاً. وكان مشهور في بغداد أن له مجلس لا يستقبل فيه إلا من كان فتياً شاباً. فإن حضر إليه شيخ رده. وكان شابٌ مسيحي يدعى عمرو بن يوحنا يحضر ذلك المجلس، فتعلق به مدرك وعشقه لدرجة انه راح يكتب فيه الشعر. ومما كتبه عنه في قصيدته (المزدوجة):

ما أبصر الناس جميعاً بداراً ولا رأوا شمساً وغصناً نضراً
أحسن من عمرو فديت عمراً ظبي بعينه سقاني نحرماً

و ذات يوم ألقى إليه في المجلس رقعة كتب فيها:

مجالس العلم التي بك تم حسن جموعها
ألا رثيت لمقلة غرقت بماء دموعها
بيني وبينك حرمة الله في تضيقها

واطلع الحاضرون على تلك الرقعة وعرفوا ما بقلب مدرك نحو عمرو، فاستحيا الأخير وانقطع عن المجلس فترة.



فراح مدرك يجلس أمام دير الروم، حيث يسكن عمرو، ويتبعه في كل مكان،
والآخر يتجاهله حتى اختلط عقل مدرك من الشوق وسقط في فراش المرض.

وكان كلما دخل عليه الناس لزيارته قال: «أما فيكم من يرحمني بالنظر إلى
عمرو!»

فمضى بعضهم إلى عمرو، ولما أخبروه بما آل إليه حال مدرك من أجله، ذهب
معه لزيارته.

فلما رآه مدرك أغشي عليه من عظم شوقه، ولما أفاق أمسك بيده وأنشد:

أنا في عافية إلا من الشوق إليك
أيها العائد ما لي منك لا يخفي عليك
لا تعد جسماً وعد قلباً رهيناً في يديك
كيف لا يهلك مرشوق بسهمي مقلتيك

ثم شهق شهقة ومات من شدة ما ألمّ به من ألم عشقه المستحيل.



- الداء والدواء، ابن القيم
- بدائع الزهور في وقائع الدهور، ابن إياس
- سير أعلام النبلاء، الذهبي
- تزيين الأسواق في أخبار العشاق، داوود الانطاكي
- رشد اللبيب إلى معاشرة الحبيب، أحمد بن محمد بن علي اليمني

